

ما الغاية من خلق الانسان

إنَّ الغاية من خلق الإنسان هي أن يعرفوا الله تعالى، وصفات كماله عز وجل، وأن يعبدوه لا يشركوا به شيئاً، فيكون إلههم وحده، ومعبودهم ومطاعهم ومحبيهم، يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الذاريات: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ﴾ [1]. فالله سبحانه وتعالى خلق الخلائق لعبادته لا لحاجته لهم، ولا بد من الإشارة أن الغاية المرادة من العباد هي ما تم ذكره، أما الغاية المرادة بهم فهي الجزاء بالعدل والفضل والثواب والعقاب، فيثاب المطيع ويعاقب العاصي، فخلق الإنسان لم يكن عبثاً فقد قال جل من قائل: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [2]. فمعرفة الإنسان للغاية من وجوده ستدفعه ليعبد الله حقَّ عبادته ويسبِّحه كثيراً ويستغفره كثيراً [3].

مفهوم العبادة

بيان ما الغاية من خلق الانسان فإنَّ على كلِّ مسلم أن يعرف مفهوم العبادة، والتي عرّفها أهل العلم أنّها اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبه الله تعالى ويريضاه من قولٍ أو عملٍ ظاهرٍ كان أو باطن، والعبادة تتضمن غاية الذل والحب، فهي ذلّة ومحبة لله سبحانه دون خلقه، وهي المضمون الشامل في دعوة الرسل عليهم السلام، حتّى الملائكة في السماء يعبدون الله حقَّ عبادته، ويقول الله سبحانه في محكم تنزيله: ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ * إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [4]. فالعبادة انقياد تامٌّ وخضوعٌ لله سبحانه وتعالى بالمطلق، والتقرب إليه بالأعمال المشروعة والأفعال والأقوال [5].

حاجة الإنسان للعبادة

خلق الله الإنسان وفطره على العبادة وجعلها الغاية من خلق الانسان، وإنَّ حاجة البشر للعبادة أكثر بكثيرٍ من حاجتهم لما سواه، فالإنسان لا بدّ له من معرفة كيف يرضي الله ومتى يسخط منه، وقد فطر الله تبارك وتعالى الناس من القدم على التوجه لله بالعبادة، ولو انحرقت فطرتهم فهم لا ينكرون وجود الرب بل كانوا يشركون به ويعبدون شيئاً من خلقهم، فالفطرة والحاجة موجودة لكنها انحرقت، والفطرة السليمة تقتضي عبادة الله الواحد القهار، وحاجة الإنسان إلى الله وعبادته تفوق كلّ حاجاته الحيائية، وتظهر هذه الحاجة من ضعف الإنسان أما مظاهر قدرة الله، فالإنسان أمام مظاهر الله ضعيفٌ ذليل، وقد عظمت حاجة الإنسان للجوء إلى الله والتوكل عليه، فبالعبادة تستقيم الحياة وتصلح أحوال المجتمع، ويعيش الإنسان مطمئناً مرتبطاً بالله سبحانه وتعالى، معتمداً عليه إذا أَلَمَت الشدائد [6].

الشمولية في مفهوم العبادة

إنَّ العبادة هي الغاية من خلق الانسان، ولكنَّ العبادة لا تقتصر على تعريفها الشرعي الذي تم ذكره بل هي أعم وأشمل من ذلك، فالعبادة شاملة لكلِّ جوانب الحياة، فالحياة كلّها مسرحٌ للعبادة، وذلك إذا اقترن الأعمال كلها بحسن النية وإخلاصها لله سبحانه وتعالى، فالأعمال الصالحة كلها والتي لم تكن أعمالاً تعبدية بحتة يمكن ان تكون عبادة بنية إرضاء الله بها، فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿كُلُّ سَلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلُّ يَوْمٍ تَطَلَّعَ فِيهِ الشَّمْسُ، يَغْدُلُ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الْأَدَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ﴾ [7]. وحتّى السعي في أمور المعيشة فهي في سبيل الله، حتّى الأعمال الغريزية إذا كانت بنيةً صالحةً فهي عبادة، والأكل والشرب وغيره والله أعلم.